حديث التقريب

نعم لحرية التعبير
لا للإساءة للمقدسات الدينية

ان الاساءة الى المقدسات المحترمة لدى الانسانية في العقود الاخيرة تحولت الى ظاهرة مشينة يشمئز منها الطبع الانساني السليم، فالاساءة تارة بالنسبة لمذهب أو دين أو مدرسة فكرية، واخرى الى قيم وشخصيات سماوية مرموقة ومحترمة، ومن المؤسف ان نلاحظ سكوت المجامع الدينية والفكرية والمؤسسات الانسانية إزاء هذه الظاهرة التي اخذت تتفشى في اوساط المجتمع الانساني . ولعل تبرير الاساءة الى الاديان السماوية وانبياء الله والحواريين وصحابة الانبياء يستند الى قيمة نسبية ، اسمها« الديمقراطية أو حرية التعبيرالفردي» وهي اقل مكانة بالنسبة للقيم الانسانية الأُم التي تقوم عليها الحياة البشرية ألا وهي كرامة الانسان، والتي هي فوق كل شيء ، فالانسان خلق مكرماً [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً] ولا يحق لاحد ان يسحق كرامته تحت اي عنوان ومن كرامة الانسان احترام مقدساته، ومن غير المشروع ان توجد قيم اجتماعية فاقدة للضوابط والحدود المشروعة والقانونية ، فحرية الانسان و ديمقراطيته محترمة اذا لم تتجاوز على كرامة الانسان ، أو تسبب إهانة مقدسات امم ومجموعات ، فالحرية الفردية المطلقة والمؤدية الى تجييش العواطف الانسانية وعدم احترام القيم

المنطقية والاستخفاف بمعتقدات المجتمعات الانسانية غير مقبولة، لاعقلاً ولاعرفاً ولاقانوناً .

مما لاشك فيه لدى جميع اهل الفكر والعلم والخبرة بأن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس لدى اكثر من مليار ونصف مليار من المسلمين، فهو الحبل المتين بينهم وبين السماء وهو العروة الوثقى والدستور لحياتهم المادية والمعنوية فأي اساءة لهذا الكتاب فإنها إساءة لكل المجتمع الاسلامي، وهذا ما شاهده العالم في كل فترة ويسعى البعض لاختبار الامة الاسلامية في هذا المجال .

ان التمسك بذريعة الحرية الفردية لتمرير مشاريع سياسية ذات اهداف معينة ومعارضة للقيم الانسانية غير مقبول.

ان هذا العالم الاسلامي في العقود الأخيرة خاصة وبعد بزوغ نجم الصحوة الاسلامية واسترجاع الشعوب الاسلامية هويتها الاصيلة ، شاهد تحرشات مسيئة لقيمه ومبادئه الانسانية والاسلامية ، كالإساءة الى نبيه الكريم بالصور الكاريكاتيرية المشينة ، وتكريم المرتد سلمان رشدي من قبل زعماء الدول الغربية بعد تعدّيه على الرسول الاعظم ، وافتتاح الملاهي وبيوت الفساد بمعمارية واسماء اسلامية ، وتكريم صاحب الصور المسيئة بواسطة ميركل الالمانية واخيراً وليس آخراً الدعوة الى حرق القرآن الكريم بواسطة القس المنحرف « جونز» وتمزيقه امام البيت الابيض على يد عناصر مشبوهة. تمت هذه الامور تحت ذريعة « عدم تعارضها مع احترام حرية المعتقدات والاديان في الغرب».

هذه الحوادث تنبئ عن مشروع فكري يؤسس له بتمعّن ولم يكن حصيلة فترة زمنية قصيرة، فالاساءة باشكالها المختلفة حصلت وتحصل سواء قبل الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أم بعده ، وايضاً فالقائم بها سواء كان سلمان رشدي أم تري جونز كلاهما

Archive of SID
www.SID.ir

يتحرك نحو مشروع واحد الا وهو اخماد الصحوة بالاساءة الى مقدساتها.

ولكن الله يعدنا وفقاً لقواعد سننه تعالى وهي لا تختص بزمان ومكان معين، بأن النصر للحق واهله و«عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرلكم». والخير هو ان تفيق الامة من غفوتها وتتبع نهج الاخوة والوحدة والمحبة والالتزام بقيمها وقرآنها، ونهج الوسطية الاسلامية ونبذ العنف والتطرف والاساءة لمقدسات الامم والأديان.

لقد علمنا قرآننا احترام مقدسات الجميع في آيات عديدة منها:

[وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ].

[قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ].

[قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ].

بهذه الروح الانسانية السامية يعلمنا الاسلام كيفية التعايش مع الآخرين ولا يسمح لأي انسان تحت ذريعة « حرية التعبير» ان يسيئ الى مقدسات الامم والاديان والمذاهب.

وليس غريباً ان تخرج النعرات الطائفية والدينية في زمن واحد من لندن وواشنطن، فواحدة تعمل على شق الوحدة الاسلامية بالاساءة الى امهات المؤمنين وصحابة رسول الله والاخرى تدعو للحرب على الاسلام وإهانة أعظم مقدساته من اجل اشعال حروب طائفية أو صليبية معاصرة، من هنا يجب على علماء الامة الاسلامية ومفكريها وايضاً القادة

الروحيين لكل الاديان السماوية اتخاذ موقف موحد ضد هذه الظاهرة التي تسيء الى الانسانية جمعاء، وينبغي أن لا يكتفي البعض بالتنديد والاستنكار بل لابد من الاقدام على اعلى المستويات واعتبار « احترام المقدسات الدينية» مادة قانونية في المجامع الدولية يعاقب المتعدي عليها أياً كان.

وفي الخاتمة على ابناء الامة ان يتحلوا بالصبر والحذر والتوكل على الله، الا ان نصر الله قريب.

Archive of SID
www.SID.ir